



تاريخ به صمم

لطالما كان صعباً التكلم براحة عن الرحابنة. والصعب يغدو شبه مستحيل عندما يكون العمل الرحباني الراهن موضع اقبال شعبي، كما هي الحال مع "ابو الطيب المتنبي"، الاوبريت الاخيرة لمنصور الرحباني التي يبدو انها تحشد الجماهير كل مساء في بيروت بعد دبي وبعلمك. فكيف يتشجع المرء على الكلام اذا كان محسوماً سلفاً ان ما سيقوله سيعدّ فذلّة مثقفين؟ حسناً، فلنتفكّل. في الاخير، أليس الموضوع نفسه دعوة مفتوحة للذلّة؟ فالمتنبي، بخلاف "بياع الخواتم"، يؤرق المثقفين العرب منذ زمن.

بل انه لم يحدث أن شغل "متقف"، ان جاز استعارة هذا المفهوم الحديث، "زملاء" المتأخرين، وعلى بعد الف سنة، كما يفعل المتنبي. "وهرته" على الشعراء العرب معروفة، وهي اصلاً استثنائية، لا يعادله فيها ربما الا شكسبير بالنسبة الى اللغة الانكليزية، وبدرجة اقل فيكتور هوغو بالنسبة الى الفرنسية. ليس غريباً اذاً ان تغري شخصية المتنبي فناً مثل منصور الرحباني، وخصوصاً بعدما دخل في مرحلة شعر فيها انه يتوجب عليه ختم مسيرته الفنية الثرية بمحاكاة شخصيات تاريخية كل ما دونها قليل عليه. ولم لا؟ يحق للفنان العملاق ان يتعمّق فيختار ما يشده الى فوق.

لكن هل يحق له ان يمحو العمالقة الذين يتناولهم باخضاعهم لخصوصية فنه، وتجريدهم من خصوصياتهم، فيصبح الفيلسوف نداباً والشاعر زجالاً؟ فاذا كان ما يحرك منصور الرحباني هو الرغبة في تلحين قصائد لشاعر عملاق، كان من الافضل اخذها على حدة حتى لا يتقل اللحن بالايقاعات شبه العسكرية التي أملاها اطار الاوبريت. فالخيل والليل وتوابعهما كانت تستحق منه شيئاً آخر، شيئاً اقرب من العبقرية الرحبانية السالفة. تلك هي المشكلة تحديداً: المتنبي في اوبريت. وحتى لو قلنا انها مسرحية غنائية، فهذا لا يغيّر شيئاً. فالعمل ينتمي الى الاوبريت اسلوباً وغناء وكتابة.

ربما كان على منصور الرحباني، اذا كان يصير على تناول شخصيات فكرية في حجم المتنبي او سقراط (بالافتراض ان يكون حُسم الجدل المديد حول حقيقة وجود سقراط في التاريخ الفلسفي)، ان يفكر في نوع مسرحي آخر. الاوبرا، مثلاً، لكنها تتطلب مقاربة قد لا تتلاءم مع التقليد الرحباني الشعبي، او على العكس تماماً شكلاً درامياً اكثر حميمية.

في الحال الاخيرة، كان يمكن الحكمة التي اختارها منصور الرحباني ان تؤدي الى بناء مسرحي لا يغرق في المساحات الشاسعة للخشبة ولا يمحي تحت الالوان البراقة للرقصات والوصلات الغنائية. حتى المأخذ الذي يأخذه بعض مؤرخي الادب على منصور الرحباني لكونه اخترع قصة حب بين المتنبي وخولة اخت سيف الدولة، او انه ضخّمها للغاية، كان سقط لو تمّت "شدشدة" النص من منظور درامي، بدل ان تصبح هذه القصة مجرد حجّة لادخال "كاراكتير" نسائي لا تستقيم من دونه مسرحية غنائية تطمح الى رواج شعبي كبير. بالمناسبة، ليست مفارقة هائلة ان نرى المسرح الرحباني الذي تمحور تاريخياً على شخصية نسائية وظل، بعد ابتعاد فيروز عنه، يبحث عمّن يحل مكانها، لا ينجح الآن الا في افقاد كارول سماحة موهبتها، وهي كبيرة، للمرة الثانية على التوالي؟



كل ذلك تفاصيل، قد يقول قائل. فالجمهور راض، والجمهور الراضي يتقبل في شكل افضل الرسالة "الوطنية" التي سيقول القائل نفسه انها كانت الهم الاول لمنصور الرحباني ومنتجي العمل. الرسالة وصلت والحمد لله: لا يزال العرب يتمرون في مرآة تاريخهم، ولا يضيرهم ان كانت معوجة، تعكس اسقاطات معاصرة لم يكن لها اي معنى في عصر المتنبي او، حتى نأخذ مثلاً آخر ألهم عملاً تلفزيونياً يحمل ادعاءات مماثلة، ايام صلاح الدين. بربكم، يا عرب، اما أن لكم ان تدركوا ان التاريخ ايضاً به صمم، لا يسمع حتى كلمات المتنبي؟

سمير قصير



Id-Reference	02-Pr-000741	
Media	(Support)	HC
Title		تاريخ به صمم
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٢/٢/١١ 11/2/2002
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	صلاح دين - ابو طيب متنبي - منصور رحباني - فيروز - شكسبير - فيكتور هوغو - سقراط
	Locations	لبنان - دبي
	Dates	
	Themes	لبنان - رحبانه - منصور رحباني - بيروت - دبي. بعلبك - شكسبير - ابو طيب متنبي - شعراء عرب - فيكتور هوغو - سقراط - مسرحية "اوبريت" - فيروز - صلاح دين
Subject		